صحوة لابد أن تحدث.. وأمل نريد أن يتحقق

عبد الفتاح عبد الكريم

أن من أقدس ساعات العمر أن ينفرد الإنسان بنفسه ويجوب بها فى آفاق الحياة بعيداً عن الأهواء والنزعات والرغبات ليصارح نفسه بالحقيقة المذهلة التى وصلنا إليها بعد أن كنا نخر زماننا ، العالم حولنا ينظر الينا ويرقبنا بعين الإجلال والإحترام لهذه الأمة التى أرست قواعدها وأقامت صرحها العالى عـــلى أسس ثابتة ودعائم قوية استمدت قانونها من رب السموات والأرض فعاشت لها الهيبة والإجلال والتقدير ، أرسى رسولها الكريم قواعد الإخاء والمحبة والمساواة بين الجميع وضرب لنا المثل الأعلى فى القدوة الحسنة وفى تطبيقه لكل منهج السماء فعله يسبق قوله .

معالم الحياة بأسرها تمت واكتملت على يد ابن عبد الله ﷺ فالناس جميعاً وفى ركب الحيـــاة الصاحب يخضعون لكتاب الله وسنة رسوله فى علاقاتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بالآخرين ، رفرف علم المودة والحب والإخاء على الأسرة الإسلامية رب البيت والزوجة والأولاد كخلية نحل لهم دور بالقرآن الكريم التزام وخضوع لشريعـة الله فلا خروج عن حدود الشريعة ولا تبرج ولا عرى ، الصغير يخدم الكبير والكبير يعطف على الصغير ، والغنى يساعد الفقير فلا حقد ولا أنانية محى الإسلام منهم كلمة الأنا وإنما العمل لأجل المجتمع الإسلامى بأسره .

احترام متبادل بين الأب وأبنه دون إغفال مالحق الأب واحترامه

وطاعة أوامره فما كنا نرى فى مجتمع القيم والأخلاق والآداب مجتمع الإسلام أن يرتفع صوت الإبن على أبيه أو يعصى له أمراً حتى مجرد المعارضة، الأم كذلك لها حقوقها واحترامها من أبنائها لأن الذى خلقهم قال لهم فى محكم آياته « وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين أحساناً » .

ومهما بلغ الإبن أو الفتاة درجة فى العلم والثقافة فهما من حضن أبويهما يرجعان إليهما فى كل مشورة ورأى صائب والخضوع التام والإلتزام لرأيهما نظراً لخبرتهما وحنكتهما فى الحياة الدنيا .

حتى فى أخص الأمور بل وأهمها بالنسبة للبنت لا انفراد لها برأى احتراماً لأبويها ولو كان هذا الرأى مخالف ولغير مصلحتها .

فالزواج مثلا فى شريعة الإسلام للبنت رأيها الكامل فى أختيار شريك حياتها بشرط أن تختار لأبويها رجل ذو خلق ودين التزاماً لقول الرسول الكريم « إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ألا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » فليس من حق البنت أن تختار زوجاً يجلب العار لأهلها .

فهذه فتاة تجىء إلى رسول الله ﷺ تقول له يارسول الله إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا له كارهة فقال لها الرسول عليه السلام أن شئت أمضيت أمر أبيك وإن شئت فسختيه .

فقالت يارسول الله أمضيت أمر أبى ولكننى أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء حق فى اكراههن على الزواج بمن يكرهن تقول لرسول الله أمضيت أمر أبى احتراماً للأب واعترافاً بحقه وتأدباً معه فى الحديث .

الزوجة الأم رباها الإسلام على الأخلاق والأدب فلا تسأل زوجها متاعا زائلا من متع الحياة الدنيا ولا تطالبه شيء فوق طاقته ومقدرته بل كانت تبادره بسؤالين عندما تفتح له الباب قائلة كم نزل اليوم من القرآن

الكريم وكم حفظت من أحاديث رسول الله تريدهى الأخرى بدورها أن تحفظ كلام الله وسنة رسوله لأن الرسول ﷺ يقول نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها فرب حامل فقه ليس بفقيه .

ملتزمة لأمر الله فى لباسها فلا تبرج ولا عرى ولا أختيار ولا أقناع كما تقول الفتاة العصرية أنا لا أرتدى الزى الإسلامى إلا بعد الإقتناع؟ كيف هذا وكل أمر لله تعالى واجب الطاعة فارتداء الملابس الطويلة التى تستر جسد المرأة وعورتها ووضع الخمار على رأسها أمر من الله تعالى واجب التنفيذ فكما لا يجوز الإنسان أن يقول أنى لا أصلى ولا أصوم إلا بعد أن أقتنع لا يجوز أن تقول تقتنع أولا .

أن المسئولية الكاملة على رب البيت الأب أولا حينما تكون البنت فى كنفه ويسأله الله عز وجل عن عدم ارتداء زوجته وابنته الزى الإسلامى الذى أمر به الله ثم المسئولية بعد ذلك على الزوج الذى ترك الحبل على غاربه لزوجته تخرج عارية السيقان كاشفة الصدر والشعر إن العقاب أليم والمسئولية جسيمة وخطيرة فى الدنيا والآخرة .

إطلاق الحريات الكاملة للبنت والزوجة تفعل ما تشاء وتخرج فى أى وقت وتعود كما تحب كل هذه فوضى أخلاقية فى محيط الأسرة الإسلامية التى أبتعدت عن منهج الله تعالى وتمسكت بعمد واهية ضعيفة تحت ستار المدنية الحديثة والمساواة بين الرجل والمرأة خروج المرأة للعمل وأختلاطها بالرجال فى محيط العمل وتسكعها فى الشوارع يحرمه الإسلام تحريماً باتاً ولا يجيزه إلا فى حالة الضرورة القصوى التى تخرج عن نطاق الكماليات لقمة العيش فقط إذا لم يوجد العائل أو الإنفاق على صبية صغار لا عائل ولا معين لها .

إن هذا الإنفلات الواضح من شريعة الإسلام وأنقلاب الموازين

وانهيار الأخلاق وخروج البنت سافرة كاشفة عن عورتها ناسين أو متناسين قول الرسول الكريم لأسماء بنت أبي بكر الصديق حينما دخل فوجدها ترتدي ملابس رقيقة فأعرض عنها ثم قال يا أسماء أن البنت إذا بلغت المحيض فلا يجوز أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه.

أين أخلاق الإسلام ؟ أن هذا يحتاج منا إلى صحوة ويقظة من رب الأسرة أولا ولا ينتظر من أحد أبداً أن يطبق لنا شريعة الله في بيوتنا فنلتزم نحن في دائرة أسرتنا الصغيرة بمراقب تصرفات زوجاتنا وبناتنا لأن كل هذا من الشيطان الذي يتربص بنا ومن أعداء الإسلام الذين يزينون لنا الباطل وفعل المنكر بشتى الطرق والوسائل .

أن وسائل الإعلام المختلفة دخلت كل بيت فوجدت الفرصة متاحة الأسرة أهملت كتاب الله فلا التزام بالكتاب والسنة فقلدنا كل شيء يخالف ديننا فتخبطنا في ظلمات الجهل والحيرة ونسينا أن الله عز وجل يقول لنا: « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيها وكذلك اليوم تنسى » .

وليس في الحياة شيء أصعب على الإنسان من أن يعيش في ضنك وضيق ، ورأينا الضنك والضيق بأعيننا مع ما كل أعطتنا الحياة من أموال ورفاهية وأنعمت علينا الدنيا بكل زخارفها إلا أننا نعيش في قلق وتوتر وسأم للحياة، ضيق في أرزاقنا، الحصول على رغيف العيش فيه نصب ومشقة ضاقت علينا الأرض بما رحبت وما ذلك إلا لأننا أعرضنا عن ذكر الله وجعلنا بيننا وبين الله حجاباً مستورا فيكون مصيرنا ومآلنا إلى حياة الضنك عندما نحب خمساً وننسى خمساً ، نحب المخلوق وننسى الخالق ، نحب المال

وتنسى الحساب، تحب القصور وتنسى القبور، تحب الذنوب وتنسى التوبة، تحب الدنيا وتنسى الآخرة .

أصبحنا فى هذه الأيام التى نشد فيها ضالتنا لا نعرف من الإسلام إلا اسمه ولا من المصحف إلا رسمه وصار كل همنا فى بطوننا وقبلتنا التى نتوجه إليها نساؤنا وإذا رأينا غيرنا حسدناه إذا توارى عنا أغتبناه وصارت سنة المصطفى عندنا بدعة والبدعة التى لم يسنها ولم يأمر بها حسنة أنهارت الأخلاق من أساسها وأصبح الأب فى بيته شبح فقط لا يستطيع أن يفرض رأيه على أسرته صغيرهم وكبيرهم وابحنا كل شىء حرمه الله تعالى وجاهرنا به فأغضبنا الله تعالى وتكالبت علينا الأمم ولقد حذر الرسول ﷺ من هذا الزمان الذى نترك فيه قرآننا ونبتعد عن مناهجنا فقال عليه السلام « إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء : قيل ماهن يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أبا وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عندذلك ريحا حمراء أو خسفا ومسخا رواه الترمذى وأى حياة هذه التى نحياها بعد مايحل البلاء وتنشر الأمراض ، وينزل الخسف بالعباد .

هيا أيها المسلمون أفيقوا من غفلتكم ومن نومكم العميق وأرفعوا المصاحف من بيوتكم تلاوة وتطبيقاً عملياً وأعيدوا مجد الإسلام وعظمة الإسلام وراقبوا تصرفات زوجاتكم وبناتكم فلقد جاهرنا بالمعاصى وخرجنا على كل قيم الإسلام وظهرت الفاحشة على أشدها وأى فاحشة أشد وأقسى مما نراه فى الطرقات والشوارع العامة من الخلاعة والفجور والتبرج المنهى عنه ، إن الرسول الكريم يحذر أمته فيقول « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » .

ويقول محذراً مرة أخرى « لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ! !

أن رسول الإسلام عليه السلام يدعو هذه الأمة إلى الإصلاح في كل شيء ومراجعة حساباتنا وتصرفاتنا ويحذرنا من المعاصي التي نرتكبها والتي ستكون سبباً في إنزال البلاء على كل مسئول عن رعيته أن يعود إلى كتاب الله وسنة رسوله قبل أن يأتي هذا الإنذار الخطير والتحذير الشديد الذي يحذر به الرسول الكريم أولئك الذين عكفوا على المعاصي وأرتضوها وطابت لهم أنفسهم بفعلها فيقول الرسول الكريم في حديث شريف :

« يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير ، وليصيبنهم خسف وقصف ، حتى يصبح الناس ويقولون : خسف الليلة ببني فلان ، وخسف الليلة بدار فلان خواص ، ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها ودور ، ولترسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعهم الرحم » رواه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي .

أن الموقف الآن أصبح خطيراً وهاما فلا مناص أمامنا إلا العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله وأن نتذكر دائما أن هذه الحياة قصيرة ولنا لقاء بعدها مع الديان ليحاسبنا على كل صغيرة وكبيرة ، وكيف نستبدل لذة وقتية زمنية محدودة بلذة دائمة وخالدة ومطلقة ... هل نسينا أن الحياة الآخرة لاموت فيها ولا مرض ولا شيخوخة ولا فقر ولا جوع فهل أعددنا لها الحساب ماذا يكون موقفنا أمام من لاتخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

هل فكر كل واحد منا أدنى تفكير حينما أهمل أوامر الله عز وجل

وتهاون فى تطبيقها أنه بهذا قد أعرض عن ذكر الله : ماذا يكون موقف المعرض عن ذكر الله إذا جمع بين عمى البصر وعمى البصيرة أن الموقف صعب والحساب شديد فوق ما نراه من عذاب فى الحياة الدنيا وأى صنف نحن يوم القيامة من الأصناف التى أخبر عنها الرسول الكريم بقوله (يحشر الناس يوم القيامة على (أصناف ثلاثة : صنف مشاة ، وصنف ركبانا ، وصنف على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » رواه الترمذى .

خذ لنفسك أيها الإنسان المغرور الذى تركت قيم الإسلام وأخلاقه تنهار أمام بصرك وفى استطاعتك أن تفعل شيئاً خذ مكانا تقف فيه أمام الله عز وجل .

ألا تحب أن تكون من الذين يحشرون إلى الرحمن وفداً غراً محجلين وجوههم ناضرة ، إلى ربها ناظرة ضاحكة مستبشرة .